جمهورية مصر العربية	**٢٤ من رجب ١٤٣٨هـ**
وزارة الأوقاف	**٢١ من أبريل ٢٠١٧م**

(١)

الإسراء والمعراج
دروس في الفرج بعد الشدة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز :{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، وبعد :

فقد أكرم الله تعالى نبيه محمدًا (صلى الله عليه وسلم) بآيات عظيمة ومعجزات باهرة تؤكد على صدق نبوته (صلى الله عليه وسلم) ، وتكريم الله تعالى له.

ومن هذه الآيات معجزة الإسراء والمعراج بسيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) ، فهي رحلة حافلة بالدروس والعبر ، غير أن الدرس الأعظم منها هو : الفرج بعد الشدة ، وأن المحن تتبعها المنح ، فكل محنة وشدة وراءها منحة وعطاء وتكريم من الله (عز وجل) ، فبعد المحن والشدائد التي تعرض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة قبيل الإسراء والمعراج ، وبعد عام من الامتحان والابتلاء عرف في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) بعام الحزن ، حيث فقد (صلى الله عليه وسلم) زوجَه الحانية خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) التي كانت تخفف عنه (صلى الله عليه وسلم) ما يلاقيه من أهل مكة ، وعمَّه أبا طالب الذي كان يعضده ويقويه ويدفع عنه الأذى في هذه المرحلة ، فاشتد الأذى برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولاقى من أهل مكة ما لاقى ، مما اضطره (صلى الله عليه وسلم) إلى الخروج إلى الطائف علَّه يجد فيهم استجابة لدعوته ، غير أنهم كانوا أكثر غلظة وأشد قسوة عليه من قومه ،

فسلطوا عليه عبيدهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى سال الدّم من قدميه الشريفتين ، فاتجه (صلى الله عليه وسلم) إلى ربه بدعواته المشهورة (اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ ! أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبّي ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي؟ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي ، وَلَكِنّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك ، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُكَ ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِك) .

ومن هنا ، ومن قلب المحن كانت المنحة الربانية العظيمة ، فكانت رحلة الإسراء والمعراج ، التي سجلها رب العزة وخلدها بقرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، حيث يقول الحق سبحانه : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، ويقول سبحانه : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}.

لقد جعل الله (عز وجل) هذه المعجزة تسرية عن الرسول (صلى الله عليه

وسلم)، وتكريمًا له ، وتثبيتًا لقلبه ، ولكي يزداد إيمانًا ويقينًا وثقةً في أن الله (عز وجل) لا يتخلى عن عباده المؤمنين ، حيث أطلعه الله فيها على حقائقَ غيبيةٍ ، وأسرارٍ كونيةٍ ، لم يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل ؛ لتعلن عن معية الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) ونَصرِه له.

وهذا درسٌ عظيم لكل من يتعرض لشدة أو تصيبه محنة أو كرب ، فإذا صبر وتحمل الشدائد فلا شك أن الله سيكرمه بالعطاءات الإلهية والمنح الربانية ، وستظل هذه المعجزة يقف أمامها العقل البشري عاجزًا ، لأنها لا تخضع لقوانين طبيعية أو بشرية ، وإنما تتعلق بقوانين إلهية.

أكدت معجزة الإسراء والمعراج على **أن الإسلام دين الفطرة** ، ويتجلى ذلك حين عُرض على النبي (صلى الله عليه وسلم) اللبنُ والخمرُ فاختار اللبنَ ، فبشره الأمين جبريل (عليه السلام) بقوله: (هُدِيتَ الفِطْرَةَ ، أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ) وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم) : (... وَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ، أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، فَقِيلَ لِي: هُدِيتَ الفِطْرَةَ ، أَوْ أَصَبْتَ الفِطْرَةَ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ).

كما أكدت هذه الرحلة المباركة **أن مقامَ العبودية الخالصةِ لله تعالى أسمى المراتب** التي يصلُ إليها الإنسان في حياته ، وشرف لا يدانيه شرف ، وصف الله تعالى به نبيه (صلى الله عليه وسلم) في قوله:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: (جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ ، قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ؟، أَوْ

عَبْدًا رَسُولًا؟، فَقَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ: بَلْ عَبْدًا رَسُولًا)، فكان (صلى الله عليه وسلم) في كل لحظات حياته عبدًا لله ، حتى صار وصف العبودية علمًا عليه (صلى الله عليه وسلم) ، فعندما قالت أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) يَا رَسُولَ اللهِ ، كُلْ مُتَّكِئًا جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ ، فَإِنَّهُ أَهونُ عَلَيْكَ ، قَالَتْ: فَأَصْغَى بِرَأسِهِ حَتَّى كَادَ أَنْ تُصِيبَ جَبْهَتُهُ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: (لا ، بَلْ آكُلُ كَمَا يَأكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ) ، ولله درُّ القائل:

ومما زادني شرفًا و تيهًا *** وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك : يا عبادي *** و أن صيَّرت أحمد لي نبيّا

ومن الدروس المستفادة من ذكرى الإسراء والمعراج : ما وضحته هذه الرحلة من أن **مفهوم الصداقة ليست كلمة ولا شعارًا** ، وإنما هي مبادئ ومواقف وقد ضرب سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أروع الأمثلة في الصداقة الحقة في أسمى معانيها والتي تتجلى أوضح ما تتجلى عند الشدائد ، فعندما عاد النبي (صلى الله عليه وسلم) من رحلته ، أخبر أهل مكة أنه ذهب إلى بيت المقدس ثم عاد في ليلته ، وهنا تتجلى صداقة الصديق لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وثبوته على اليقين والحق عندما قَال المشركون له : (هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق) ، فالصداقة لها قدرها ومنزلتها ، وتظهر الناس على معادنهم وحقيقتهم ، ولله درُّ القائل :

جـزى الله الشـدائـد كل خيـر * * * عرفـت بهـا عـدوي مـن صديقـي

إن موقف الصديق (رضي الله عنه) وثباته على المبدأ ونصرته لصديقه في الحق عند الأزمات فيه رسالة لكل من وجد أخاه في أزمة أو شدة أو ضيق فليسرع إلى مساندته وتأييده وبكل ما يملك من قوة ، وأن يسهم في رفع هذه الشدة عنه ، فعند المحن والشدائد يظهر العدو من الصديق الصادق.

ومن الدروس المستفادة: التحذير من الفواحش وبيان عقوبتها ، فقد رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) في رحلة الإسراء والمعراج أحوال الزناة ، وأهل الغيبة والنميمة ، والمتثاقلين عن إقامة الصلاة ، ومانعي الزكاة ، ومضيعي الأمانة ، وخطباء الفتنة ، وأكلة أموال اليتامى والربا ، ومآل كل واحدٍ منهم ، فحذر من انتشار هذه الفواحش وبين آثارها على الفرد والمجتمع ، ومن ثمَّ فيجب أن نأخذ العبرة والعظة من هذه الرحلة المباركة حتى يشملنا الله تعالى بعنايته ورحمته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

من الدروس المستفادة أيضًا : **بيان مكانة المسجد الأقصى** عند أمته (صلى الله عليه وسلم)، فهو جزء لا يتجزأ من المقدسات الإسلامية ، انتهى إليه إسراء نبينا (صلى الله عليه وسلم)، ومنه بدأ معراجه إلى السموات العلى، ثم إلى سدرة المنتهى، فلبيت المقدس مكانة عند الله تعالى، ومكانة في قلوب أمة النبي (صلى الله عليه

وسلم)، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين، وأحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ ، الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) وَمَسْجِدِ الأَقْصَى) ، وهو ثاني مسجد بني على الأرض ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ قَالَ: (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ) قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: (الْمَسْجِدُ الأَقْصَى) قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ: (أَرْبَعُونَ سَنَةً). ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ). فالمسجدَ الأقْصَى أمانَةً في أعْناقِ عُمومِ المسلمينَ ، فلا يَحِلُّ للمسلمين أن يفرطوا فيه أو يتهاونوا في حمايته.

ولعل أهم درس نأخذه من دروس الإسراء والمعراج هو : **درس الأمل وعدم اليأس** ، فقلب المؤمن لا يجزع ولا ييأس ، وأمور العباد والبلاد بيد الواحد الأحد ، الذي{أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، شريطة أن نسعى وأن نأخذ بالأسباب ، لأن الأمل بلا عمل أملٌ أعرج ، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول: (لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول: اللهم ارزقني ، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة) ، فالإسلام دين لا يعرف التواكل، بل يحاربه وينبذه، ولا يعرف التواني والكسل والخمول ، وإنما هو دين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) ، فالطير هنا لا تبقى ساكنة في أوكارها ، إنما تأخذ بالأسباب فتغدو وتروح .

وقد علَّم النبي (صلى الله عليه وسلم) الأمة أن الأخذ بالأسباب أمر ضروري لاستقامة الحياة واستقرارها ، فضرب (صلى الله عليه وسلم) أعظم الأمثلة في الأخذ

بالأسباب حين ركب البراق ، واقتدى في المسيرة بجبريل (عليه السلام)، ثم ربط البراق قبل الصعود إلى السماء ولم يتركه هملاً ، وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم): (فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِها الْأَنْبِيَاءُ).

نسأل الله تعالى أن يرزقنا رزقًا حلالاً طيبًا مباركًا فيه

وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.